

مملكة نوميديا والعاصمة سيرتا من خلال المعطيات التاريخية والشواهد الأثرية

The Kingdom of Numidia and the capital Cirta through historical data and archeological evidence

حسينة عينوش

المركز الجامعي مرسلبي عبد الله تيبازة، ainouche.hassina@cu-tipaza.dz

تاريخ الإرسال: 2025/02/14 ؛ تاريخ القبول: 2025/04/19 ؛ تاريخ النشر: 2025/06/01

الملخص:

تندرج هذه الدراسة ضمن الحديث حول نشأة الممالك النوميدية في القرن الثالث قبل الميلاد وأبرز ملوكها وعلى رأسهم الملك الأغليد ماسينيسا، مؤسس مملكة نوميديا الموحدة. بالرغم من هذا الامتداد التاريخي العريق، تبقى معرفتنا بها غامضة، حتى أن سكوت المصادر المكتوبة، جعل الباحثون في تاريخ المملكة يؤخرون دخولها المرحلة التاريخية. كان تحالف ماسينيسا مع القرطاجيين ثم مع الرومان تمليها طبيعة الظروف الجيوسياسية والاستراتيجية السائدة آنذاك. سأدرس كل ما يتعلق بتاريخ الممالك النوميدية وملوكها الأفاضال الذين ساهموا في صنع مجد الماسيل بواسطة فحص الوقائع والأحداث الوارد ذكرها عند المؤرخين القدماء اللاتين والإغريق، وسأنتقل إلى مسألة تنظيم الخلافة بعد أن اعتلى ماسينيسا العرش. وقد سمح انفتاح مملكة نوميديا وخاصة العاصمة سيرتا على عالم البحر الأبيض المتوسط الاحتكاك بالحضارات القرطاجية والرومانية وكذا الحضارات المعاصرة لهم الإغريقية والمصرية، عرفت نوميديا إثرها فترة رفاهية تتعلق بتطور الزراعة ومحاصيل الحبوب والتجارة، كما تطورت عملية ضرب العملات النقدية رمزا للقوة والسيادة، واحتلت الفنون والثقافة والآداب مكانا هاما، وازدهرت اللغة الليبية جنبا إلى جنب مع اللغة البونية، وساهم الجيش في فرض سلطته في الداخل والخارج، كما كانت للعمارة الملكية الجنازية نصيبا في الإبداعات المعمارية آنذاك. سيتم مناقشة نقاط ذات صلة بموضوع البحث عن طريق المنهج التاريخي مع تسليط الضوء على سيرتا العاصمة النوميدية من خلال الشواهد الأثرية وفق المنهج الوصفي.

الكلمات المفتاحية:

نوميديا؛ سيرتا؛ ماسينيسا؛ المعطيات التاريخية؛ المعطيات الأثرية.

Abstract:

This study deals with the mysterious truth about the emergence of the Numidian Kingdoms in the third century BC and its most prominent kings, Massinissa, founder of the unified Kingdom of Numidia through written sources. The alliance of Massinissa with the Carthaginians and Romans was dictated by the nature of the geopolitical and strategic circumstances prevailing at that time. I will discuss everything related to the history of the Numidian Kingdoms and their kings who contributed to the glory of the Massilians by examining the facts and events mentioned by ancient Latin and Greek historians. I will address the succession issue after Masinissa ascended the throne. The openness of the Numidian kingdom, especially the capital Cirta, to the Mediterranean world allowed it to interact with the Carthaginian, Roman, Greek and Egyptian civilizations. Therefore, Numidia experienced a period of prosperity related to the recovery of agriculture and trade, the development of minting coins, the advanced of arts and culture, the flourishing of the Libyan and Punic languages, the creativity in royal funerary architecture and the potentiel army strength. Points related to the research topic will be discussed through the historical method, shedding light on the capital Cirta and denote some archeological evidence.

Keywords: Numidia; Cirta; Massinissa; Historical data; Archeological data.

مقدمة:

من المؤسف حقا، أنّ كلّ مانعرفه عن حضارة نوميديا ضئيلا جدا، فالتاريخ النوميدي لم يكتبه النوميدي أنفسهم إنما وصل إلينا من خلال المؤرخين اللاتين والإغريق في ظل الأحداث التي وضعت كلّ من الرومان والقرطاجيين في المواجهة. لكن السؤال الذي يطرح نفسه، إلى أي مدى يمكن للمؤرخين الأجانب أن يكونوا موضوعيين؟ من الجيد، أنّ الأدلة الأثرية حاضرة، تتيح لنا بناء الأحداث وتساهم بقسط وفير في تفسير أمور تاريخية كثيرة.

نوميديا، مملكة بصمت تاريخ الجزائر العريق متخذة من سيرتا قسنطينة حاليا عاصمة لها بعدما وحدها الملك الأغليد ماسينيسا. مملكة، قاربت أن تضاهي قوة قرطاجة وروما في ذلك الوقت، خلدت حضارتها ميزات سياسية واقتصادية وثقافية، فضلا عن دور جيشها القوي من الفرسان والمشاة في البناء والدفاع. انفتحت على عالم البحر الأبيض المتوسط، فكانت محل جذب لأجناس مختلفة مما ساهم في تعزيز المبادلات الداخلية والخارجية، فراجت الأسواق وسكت العملة وما تحمله من دلالات، ووصل الإنتاج النوميدي من القمح والعاج وخشب شجرة الثوبا حتى جزر رودس وديلوس (Mohamed Alouad Tahar, 2004: 29-41) ومناطق كثيرة في البحر الأبيض المتوسط. كما كانت مركزا للثقافة البونية والإغريقية، حيث انتشرت اللغة البونية بكثرة وبقيت متداولة لفترة طويلة (Christian Courtois, 1950: 306)، وازدهرت اللغة والكتابة الليبية. ولكن إذا كانت الليبية لغة الإدارة في مملكة نوميديا، كيف يمكننا تفسير الانتشار الواسع للغة البونية؟ وتبنى النوميدي الآلهة البونية، بعل حمون وتانيت من خلال الأنصاب المهداة لهم في معبد التوفيت. كما كانت للعمارة الملكية الجنائزية نصيبا في الإبداعات المعمارية آنذاك، فكان ضريح الخروب مزيجا بين التأثيرات الشرقية المتأغرقة التي أدلجتها قرطاجة والتقاليد البونية (Aibèche Youcef, 2003: 97-100). ويعدّ ضريح المدغاسن بناء من الطراز الأهلي ذات تأثيرات بونية إغريقية، يدلّ على التفتح النوميدي لتأثيرات أجنبية (Cécile Colonna, 2003: 109-111) وكانت حينئذ سلالة الماسيل مازالت قريبة من أصولها القبلية اتخذت من المناطق القريبة من الأوراس منبع قوتها وإشراقها.

سأتناول في دراستي كلّ ما يتعلق بتاريخ مملكة نوميديا وإنجازات ملوكها الذين ساهموا في مجد الماسيل خاصة منهم ماسينيسا وسأبرز نظام الإدارة في سيرتا العاصمة النوميديّة وما تشكّله لغة الخطاب الإداري من أهمية على أنها رمز الوحدة والاعتزاز بالانتماء من خلال المعطيات التاريخية والبقايا الأثرية.

1- نشأة الممالك النوميديّة:

لا شك أنّ تاريخ الممالك النوميديّة كان حافلا بالأحداث التاريخية في ظل الصراع المحتدم بين قرطاجة وروما، حيث ارتبطت مملكة الماسيسيل بالملك سيفاكس وابنه فرمينّا. وعرفت مملكة الماسيل أوج ازدهارها على يد الأغليد ماسينيسا، الذي أصبح على رأس مملكة نوميديا الموحدة وعاصمتها سيرتا. تنحدر سلالة الماسيل من الأوراس، كانت حينئذ مازالت قريبة من أصولها القبلية اتخذت من المنطقة منبع قوتها وإشراقها، فلا سبيل لانكار تشكل سياسي متقدم بالمنطقة له صفات الدولة وإن كان قبليا. توافد على

مملكة نوميديا ملوك أفذاذ ساهموا بقسط وفير في ازدهارها وانتعاشها. بينما كان العرش يؤولوا لأكبر السن في العائلة الملكية، أصبح النظام يتوقف على الحكم الثلاثي.

1.1- حدودها الجغرافية:

في نهاية القرن 3 ق.م وفي غضون الحرب البونية الثانية (218 ق.م-201 ق.م) نجد مملكتين نوميديتين تتعايشان سلمياً إلى حدّ ما، وهي مملكة الماسيل وعاصمتها سیرتا ومملكة الماسيسيل وعاصمتها سيقا بالقرب من بني صاف، كانت الروابط التي تجمعهم آنذاك قائمة على قرابة العصب أي "قرابة الدّم" وفق التقاليد النوميديّة. وتمّ التعرّف على هذه الممالك من طرف المؤرخين الإغريق (بوليبوس Polybius، سترابون Strabon، أبيانوس Apianus، ديون كاسيوس Dion Cassius) واللاتين (سالوستيوس Salluste وتيتوس ليفيوس Titus Livius) للعلاقة التي كانت تربطهم بتاريخ روما، ولغياب المصادر النوميديّة والبونيّة، جعلت معرفتنا لتاريخ النوميدي متقطع وليس بوسعنا إلا الاعتماد على المصادر الرومانية والإغريقية التي لم تكن موضوعية إلى حدّ كبير.

تشمل مملكة الماسيل كل المناطق القريبة من إقليم قرطاجة وتنتهي حدودها غرباً عند الوادي الكبير، وكانت تمتد جنوباً إلى غاية الأوراس على رأسها الملك قايا (220 ق.م-206 ق.م) (Edward Lipinski, 1992: 279) وعاصمتها سیرتا. وتمتد مملكة الماسيسيل شرقاً من الوادي الكبير وغرباً حتى وادي ملوية، على رأسها الملك سيفاكس (220 ق.م-203 ق.م) (Tite-Live, 1993: 28, 17) وعاصمتها الملكية سيقا (Edward Lipinski, 1992: 275).

2.1- الخلافة على العرش:

يروى تيتوس ليفيوس بأن سيفاكس الملك الماسيسيلي استطاع خلال فترة من الزمن ضم القسم الغربي من أراضي الماسيل إلى مملكته واحتلال سیرتا، وبما أنه اختار أن يكون حليفاً لقرطاجة، حضي بالزواج من سفونزب بنت الجنرال أذربعل (Hasdrubal)، وكان سيفاكس يلعب دور الحكم بين قرطاجة وروما ممّا تسبب في هلاكه، إذ وقع في قبضة الرومان ونقل إلى مدينة تيفولي (Tibur) بإيطاليا وانتهت أيامه هناك (1، 31: Tite-Live, 1977). وكان سيفاكس قد وقّع على ورقة السلام عام 201 ق.م مما أفقده جزءاً كبيراً من مملكته، ومن بعده تربّع على رأس ما تبقى من المملكة ابنه فيرمينا (Tite-Live, 1993: 30, 36, 7).

ولكي يسترجع ما سلب من أراضي الماسيل من طرف سيفاكس، تحالف الملك ماسينيسا (202/203 ق.م-148 ق.م) مع الرومان. وبعد معركة زاما عام 202 ق.م، استطاع

ماسينيسا بعون سكييون الإفريقي استرجاع مجد الماسيل، ولم يكتفي بذلك، بل ضمّ كل أراضي الماسيسيل إلى الماسيل عام 193 ق.م (Jean-Pierre Laporte, 2003: 83)، وهكذا يصبح ماسينيسا على رأس مملكة نوميديا الموحدة بينما تزول مملكة الماسيسيل من الوجود نهائياً.

بعد ماسينيسا، قسمت المملكة على أولاده الثلاث: مستنبل، قولوسا ومسيسا. وبعد وفاتها، وحّد مسيسا (148 ق.م-118 ق.م) المملكة تحت إمارته، ومن بعده، قسمت المملكة على أولاده الاثنين: أذربعل (118 ق.م-112 ق.م) وهيمبال (118 ق.م) إلى جانب ابن أخيه يوغرطة (118 ق.م-105 ق.م) الذي كان على رأس الفرق المساعدة النوميديّة في إسبانيا عام 133 ق.م تحت أوامر سبيون إميليان بالقرب من مدينة نومنسيا (Salluste, 1974: 8-9)، وسرعان ما ستولي يوغرطة على المملكة وأصبح هو على رأسها. لم يكن يوغرطة يكن الولاء لروما، بل تمادى وقضى على السكان الرومان الإيطاليين القاطنين بسيرتا عام 112 ق.م كونهم يكنون الولاء ل أذربعل، فنشبت الحرب بينه وبين روما، وتمّ تسليمه لروما من طرف بوخوس الأوّل ملك موريطانيا (120 ق.م-80 ق.م)، وقضى أيامه الأخيرة في الاعتقال (Salluste, 1974: 113-114).

واجهت روما صعوبات جمة في حربها ضد الأمير النوميدي يوغرطة، ممّا يؤكّد على حنكته وقوّة جيشه، يكفي أن نشير إلى أنّ انهزام يوغرطة كان بفعل الخيانة (مجاهد وسيلة، مهنتل جهيدة، 2012: 13). وبعدها انتقلت زمام المملكة إلى قودا (105 ق.م-88 ق.م) الذي كان وفيا لروما. وبعد قودا، فرضت روما تقسيمها وراثيا وإقليميا جديدا قسمت بموجبه المملكة إلى مملكة شرقية: الماسيل الشرقية وعلى رأسها هيمبال الثاني (88 ق.م-60/50 ق.م) والماسيل الغربية وعلى رأسها ماستيبار (88 ق.م) ثمّ ماسينيسا الثاني (46 ق.م)، ومع يوبا الأوّل (60 ق.م-46 ق.م) انتهت نوميديا.

ويظهر مما سبق أنّ قاعدة الأكبر سنا في العائلة الملكية استبدل بنظام الحكم الثلاثي منذ أن ترك ماسينيسا العرش لأبنائه الثلاث وتكرر العمل به، ربما رغبة من ماسينيسا تجنب التجربة المريرة التي عاشها بعد وفاة والده قايا.

وقد شهدت الفترة التي برزت فيها الممالك النوميديّة نشوب صراع محتدم بين قرطاجة وروما من أجل بسط النفوذ والحفاظ على المصالح، هذا الصراع الذي لم يبق الممالك النوميديّة بعيدة عنه، لقد كان التردّد القرطاجي من أجل عقد معاهدات التحالف والصدقة وكذا ربط علاقات القرابة والمصاهرة فرصة عهد إليها الملوك الأفارقة من أجل تحقيق طموحاتهم ورغباتهم بحيث استطاعوا فرض وجودهم والحفاظ على الذات في

مصرع الأحداث. أما الرومان فقد اعتمدوا على ترك عرش المملكتين في أيدي أبنائها وذلك بإرساء علاقات صداقة معهم وعقد معاهدات تحالف بغية كسب الدعم والمساندة السياسية من طرف الملوك الأفارقة لتحقيق أطماعهم وإحكام قبضتهم على قرطاجنة

2- سيرتا العاصمة:

تعدّ سيرتا، قسنطينة الحالية من بين أعرق وأقدم المدن في شمال إفريقيا، تعاقبت على جبلها الصخري ذو الطبيعة الكلسية لفترة الكريتاسي حضارات أصيلة تركت بصمات عميقة تدلّ على إسهامها البارز في الحضارات الإنسانية عموما والإفريقية خصوصا. كانت سيرتا (Cirta (قرطن KRTN) عاصمة الدولة النوميديّة وعلى رأسها الأغاليد ماسينيسا، وعلى طريقة المدن الهلنستية العظيمة، حظيت بالرخاء، والنفوذ وجمال العمارة، انفتحت على عالم البحر الأبيض المتوسط، فكانت محل جذب لأجناس مختلفة مما ساهم في تعزيز المبادلات الداخلية والخارجية، كما كانت مركزا للثقافات البونية والإفريقية واللاتينية. ساهمت الشواهد الأثرية من عملات نقدية، وأضرحة ملكية وما أكتشف بداخلها من أثاث جنائزي ونتائج حفريات لبنانيات نوميديّة مزيّنة بفسيفساء ذات تقاليد إيطالينية (André Berthier, 1980: 13-26) في إبراز مدى ازدهار وانتعاش سيرتا.

1.2- سيرتا عند المؤرخين اللاتين والإغريق:

قبل أن يعتلي ماسينيسا العرش، دلّت بعض النصوص على تواجد مدن داخلية ومنها سيرتا Cirta، وقد أتت على صيغ مختلفة في الوثائق البونية واللاتينية: أحيانا Cirta وأحيانا أخرى Kirta. الصيغة قرطن KRTN تداولتها عملات نقدية نوميديّة للمدينة بالبوننة الحديثة مؤرخة بحوالي عام 46 ق.م-528، 523 (Jean Mazard, 1955: n°523, 528). وقد حمل الطوبونيم دلالات وصفات المدينة والحصانة الطبيعية. وعلى رأي برترندي (Bertrand) أصل التسمية ليبية، تبدأ التسمية بحرف k خلافا على حرف Q الفينيقي. ويدلّ حرف N في الأخير على صيغة الجمع في علم الأسماء اللبية (Francois 1966: 1966). Bertrand، وما يؤكد أيضا الإيتيمولوجيا النوميديّة للتسمية، هي العملة النقدية النوميديّة "باب سيرتا" التي تحمل اسم krtن (صورة رقم 1).

وقد دخلت سيرتا عاصمة مملكة نوميديا (Regnum Numidiae) التاريخ في حوالي عام 203 ق.م في نهاية الحرب البونية الثانية (218 ق.م-201 ق.م) (Charlier René, 189: 1950)، كانت في أول الأمر عاصمة الملك الماسيسيلي سيفاكس (30: 1994 Tite-Live)، وأضحت بعد انهزامه عاصمة الملك الماسيلي ماسينيسا وخلفائه (12,4).

نوّه العديد من المؤرخين اللاتين والإغريق إلى سيرتا دون الخوض في التفاصيل أمثال سالوست، ديودور الصقلي، سترابون، تيتوس ليفيوس، بومبينوس ميلا، بلين القديم وأبيانوس. وعلى ضوء سترابون تعدّ سيرتا "مدينة ذات شأن تحيط بها أسوار وقد يحيط بها خندق وهي منيعة، تتسع أسوارها إلى 10,000 فارس و20.000 من الجنود المشاة" (Strabon, 2014: 17, 3, 15). وعلى رأي الباحث ستيفان قزال، عدد سكانها كان يتراوح بين 150.000 نسمة و180.000 نسمة، ونظرا لضيق الصخرة وقلّة الموارد المائية، توسعت المدينة نحو الجنوب الغربي (على الضفة اليسرى لوادي الرمال)، كما وصفت سيرتا في (Bellum Africanum) بأغنى مدن مملكة يوبا (Opulentissimum oppidum). وبالنسبة لتيتوس ليفيوس، لدى سيرتا أبواب يتراءى على ظهر عملة نقدية للمدينة باب خليج مزدوج ذات شرفات (Jean Mazard, 1955: n°523).

صورة رقم 1: عملة نقدية باب سيرتا



المصدر: Ouafia Nessighaoui, 2017: 166

في عهد ماسينيسا الطويل (203-148 ق.م) وفي عهد خلفائه خصوصا مسيبسا (148-117 ق.م)، وعلى طريقة المدن الهلنستية العظمى، تميّزت سيرتا بالرخاء والنفوذ وجمال العمارة، ويبدو أنّ إنتاج الحبوب من خيرات أراضي نوميديا وتصديره إلى الخارج كان له الفضل في ذلك. كما كان لضرب العملة البرونزية بصفة منتظمة لدليل على ذلك، حتى بعد القرن 2 ق.م، أصبح لسيرتا استقلالية نقدية تحت حكم الشفاط، فضربت العملات النقدية بناء على أوامرهم. أسماؤهم تتأني على وجه العملات النقدية النوميديّة: BDMLQRT ET HNA (Jean Mazard, 1955: n°523-529).

ولقد سمح تضاfer والتقاء المصالح بين مختلف قوى الحوض الغربي للمتوسط والسكان الأصليين وكذا التقارب والاحتكاك بين الأطراف، إلى فتح جسور العلاقات الخارجية وفسح المجال للتعرف على امكانيات وخبرات الآخر في شتى المجالات، واستقطبت سيرتا أجناس مختلفة مما جعلها مدينة متعددة الأعراق.

وعلى رأي تيتوس ليفيوس سكن الملك سيفاكس قصرا بسيرتا (Tite- Live,1993:30,12) وخلفائه من بعده، وزوّد مسيبسا العاصمة بمباني في غاية الأبهة (Strabon,17,3)، ولكن للأسف، لم يصلنا شيئا من المصادر القديمة عن مظهر الإقامات الملكية ولا عن تنظيمها الداخلي. لا بأس أن نشير إلى تاج كورنثي بسيرتا (صورة رقم 2)، ربما كان ضمن زخارف القصر الملكي مؤرخ بالقرن 1 ق.م (Collectivité auteur 1979:470). وهو من رخام شمتو (Simithu) المعروف عند بلين القديم ب (MarmorNumidicum)، استغل منذ عهد مسيبسا واستمر استغلاله حتى العهد المسيحي.

صورة رقم 2: التاج الكورنثي



المصدر: دحو كلثوم، 2015: 22

في عام 1960، اكتشف أندري برتيري (André Berthier) في سيدي مسيد على مسكن ذو مخطط بسيط، بني بحجارة رباعية الزوايا. كان يمتد على مسافة 25م من الشرق إلى الغرب و 21م من الشمال إلى الجنوب (André Berthier, 1980: 13-26)، يتعلق الأمر بمسكن نوميدي بني بتقنية «Opus Vittatum» (Djahida Mhentel, Hakima Touahri, 2021: 373-394)، تقنية نجدها في بعض البنايات بتديس، وعثر في عين المكان على عملات نقدية نوميدية وتجلّى التأثيرات الهلنستية في المصابيح الهلنستية.

وواصل أندري برتيري أبحاثه عند سفح المنحدرات الصخرية من الجهة الشمالية الغربية واكتشف هياكل بنايات تتزيّن إحدى الغرف ذات الحنية بفسيفساء ذات تقاليد إيطالية وذو طراز بومبيي أرخها الباحث شارل بيكار (Charles Picard) بعهد ستيوس ما بين عامي 50ق.م و 30 ق.م (Charles-Gilbert Picard, 1982: 191-192) وأرختها الباحثة جهيدة مهنّتل بعهد يوبا الأول (Djahida Mhentel, Hakima Touahri, 2021: 381)، الفترة قريبة من تلك التي أشار إليها بيكار، علما أنّ يوبا الأول كان متفتحا على الثقافة اللاتينية وهذا ليس بجديد، ألم يكن أسلافه متشبعين ومتذوقين للثقافة والفن الروماني؟

2.2- إنجازات ماسينيسا:

يعتبر ماسينيسا رمزا للوحدة ومصدر فخر، يتميز بالحنكة والذكاء السياسي والديبلوماسية، عرف محترما للمعاهدات ورفضاً لكل تدخل أو تسلل خارجي في الشؤون الداخلية للدولة، أليس هو صاحب المقولة المشهورة "إفريقيا للأفارقة" مما يعكس مدى تمسكه بسيادته واستقلاله، دام حكمه (203-148 ق.م) 55 سنة. ظهر اسمه على صيغة MSNSN HMLKT أي ماسينيسا الملك على عملة نقدية فريدة (Jean Mazard, 1955: n°17).

قام ماسينيسا بإلحاق أراضي السهول العليا (منطقة مجردة) إلى أملاك الدولة. وحسب ديودور الصقلي، أبدع في أعمال الزراعة إلى درجة أنه ترك لكل من أبنائه أرض ب (plèthres 10.000) أي 874 هكتار (plèthre: 30,83m) مزودة بكل الوسائل الضرورية للاستغلال، علما أن الليبيين قد مارسوا الزراعة منذ عصر المعادن في الأطلس الأعلى من خلال الرسوم الصخرية التي تصوّر لنا المحراث الدوار (قويش شريف، 2016: 53)، كما عهد إلى تصدير إنتاج الحبوب (القمح والشعير)، الزيت والخمر إلى بلاد الإغريق وروما (Said (93: 2003, Dahmani، ووصل الإنتاج النوميدي حتى جزر رودس وديلوس (Mohamed (41: 2004, Alouad Tahar ومناطق كثيرة في البحر الأبيض المتوسط. ودلت حفريات روميكاوي وهيبوريغيوس على واردات من الفخار الكمباني والخمر من خلال الأمفورات الإغريقية الرومانية (François Bertrandy, 2003: 18). وحتى بالنسبة للأضرحة الملكية، أمدا ضريح لخروب ضمن أثاره الجنائزي: بأمفورات رودية وأسلحة وأواني فضية. كما قام ماسينيسا بسك عملة نقدية وطنية وإنشاء أسطول بحري وجيش نظامي، كما تطورت عملية ضرب العملات البرونزية، عرفت المدن النوميديّة في عهده ما يعرف بالاقتصاد النقدي.

كما شهد حكمه ازدهارا فكريا أين احتلت الفنون والثقافة والآداب مكانا هاما في الأماكن العمومية وفي البلاط الملكي وبالأخص الفلسفة (Tite-Live, 1993: 30, 2).

من الجانب السياسي، اغتتم ماسينيسا معاهدة السلام لعام 201 ق.م بين روما وقرطاجة للسيطرة على القسم الغربي لقرطاجة بين الحرب البونية الثانية والثالثة، استولى على جندوبة ل (Magni Campi) (سهول مجردة)، منطقة مكثار (Pagus Thuscae) و (Emporia) خليج قابس (La petite Syrte) انطلاقا من هنشير تينا (Thaenae) إلى غاية لبدة (Leptis Magna).

3- الإدارة واللغة بسيرتا:

من المسؤوليات التي مارسها ملوك النوميدي بدءا بسيفاكس ثم ماسينيسا وخلفائه من بعده، هي تربيعهم أسيادا على سيرتا، وساهمت كلتا اللغتين الليبية والبونية في إدارة الأعمال وتسيير شؤون المملكة. وعلى غرار مدينة قرطاجة، معظم الشواهد المادية التي تشير إلى الأشفاط بشمال إفريقيا تعود لفترة متأخرة، سيرتا العاصمة النوميديّة، لم تتبنى النظام الإداري الجديد إلا بعدما فلتت من زمام ملوكها.

1.3- نظام الأشفاط:

أصول إدراج الأشفاط (shofetim) الهيئة الثنائية في شمال إفريقيا، يعود بالدرجة الأولى إلى قرطاجة التي فرضت هذا الشكل الإداري (Charles-Gilbert Picard, 1974: 125-133)، وعلى رأي الباحث تيودور مومسن (Theodor Mommsen)، ماسينيسا هو من تبنى هذا النظام القرطاجي على المناطق التي حاز عليها بعد الحرب البونية الثانية (emporia) (Theodor Mommsen, 1886: 331-332). ولكن على غرار قرطاجة التي تشهد المئات من الأشفاط (Shofetim) كمكرسين في معبد التوفيت، معظم الشواهد المادية التي تشير إلى الأشفاط بشمال إفريقيا تعود إلى فترة متأخرة، مدينة سيرتا العاصمة الملكية لم يصبح لديها أشفاط إلا في نهاية القرن 1 ق.م، سلسلة من العملات النقدية تحمل كتابة بونية حديثة تذكر المدينة وإسمان لثنائي الماجسترا (Bodmelqrt-Hanno). وعلى رأي ألكسندروبولوس (Alexandropoulos) ضربت هذه العملات في فترة تتراوح بين هزيمة يوبا الأول ووقوع سيرتا في قبضة سبتيموس (Jacques Alexandropoulos, 2000: 309-322)، هذا يعني أنّ ذكر الأشفاط ظهر في فترة أزمة، كانت فيها سيرتا قد فلتت من زمام ملوكها، فعهد السيرتيون إلى إعادة تنظيم الإدارة وتبني هيكلية إدارية جديدة، ليس للوقوف الند بالنند ضد الرومان بل كوسيلة للتفاوض مع السلطة الرومانية، والأهم أنها وظيفة إفريقية.

2.3- اللغة:

استعملت اللغة البونية رسميا في المدن النوميديّة منذ القرن 3 ق.م على العملات النقدية لملوك النوميدي وعلى الأنصاب النذرية لمعبد التوفيت (البونية الحديثة). وقد عاشت اللغة واستمرت حتى بعد سقوط قرطاجة وظلت مستمرة حتى القرن 5م في عهد القديس أغسطين بيهبون (Christian Courtois, 1950: 306)، خاصة بين الأوفياء من القرويين الذين كانوا يجهلون اللاتينية. لم يكن سانت أغسطين يتكلم اللغة البونية بل كان يعرف البعض من كلماتها، في إحدى خطبه كان عليه الاستعانة بمرجم ويتعلق الأمر

بأسقف أنطونينوس للتواصل مع الأوفياء من ضيعة فوسلا (Fussala) بالقرب من هيبوريجيوس وفق ما تضمنته الرسالة * 20 لجوهنس ديف جاك (Johannes Divjak).

قد يكون التخاطب والكتابة بالبنونية في بداية عهد ماسينيسا دلالة على ثقافة النخبة خاصة الأرستقراطيين، وما عزّز ذلك هو المصاهرة النخبوية. هناك من يرى أنّ ماسينيسا من تبنى اللغة البنونية لإدارة الأقاليم التي حاز عليها بعد الحرب البنونية الثانية، ولكن تبنيها كلفة المؤسسات الإدارية أو كلفة البلاط الملكي الذي شجع استعمال البنونية فيه إشكالية، إذ معظم الاستعمالات الرسمية للغة البنونية في النقيشات النوميديّة هي في الحقيقة كتابات تتعلق بالشؤون المحلية وليست ملكية، أقدم الكتابات البنونية المتأثية على العملات النوميديّة والتي ضربت في عهد سيفاكس والتي دلّت على أنه ملك، لم تضرب فقط للإدلال على تأسيس مملكة ذات طابع هلنستي بل ضربت على ما يبدو لتسديد مستحقات الفرق العسكرية والجنود المرتزقة التي كانت على معرفة بالبنونية أكثر من الليبية، إذن هذه الوثيقة الرسمية تدلّ أكثر على لغة المرسل إليه وليس على لغة البلاط الملكي.

بالنسبة للغة الليبية، وعلى رأي (Robert Kerr)، عهد الملك ماسينيسا إلى تطوير الكتابة الليبية لتليق بإدارة وتسيير شؤون المملكة، مقارنة باللغة المحلية لغة التخاطب التي كانت منتشرة في ربوع المملكة (Robert Kerr, 2010: 41-68). ولكن إذا كانت الليبية لغة الإدارة في الممالك النوميديّة، كيف يمكننا تفسير الانتشار الواسع للغة البنونية؟ انتشار البنونية في الإدارة النوميديّة، يدلّ على أنها كان لها قانون مؤسساتي يشجع على تعلمها واستعمالها وقراءتها وكتابتها، فكانت لغة اتصال ولغة إدارة الأعمال بين قرطاجة ونوميديا.

4- الشواهد المادية:

تكتسي قوّة العملة النقدية النوميديّة وماتحملة من دلالات إيكونوغرافية والأسلحة الدفاعية والهجومية أهمية بالغة ممّا يعكس هيبة الدولة وسيادتها في الداخل والخارج.

1.4- العملات النقدية:

تعدّ العملات النقدية النوميديّة من أبرز الشواهد المادية على السيادة والهوية السياسية والاقتصادية للممالك النوميديّة خاصة في ظل حكم ماسينيسا وخلفائه. لم تكن فقط وسيلة تبادل اقتصادي، بل كانت أداة للدعاية والسياسة، تعكس هيبة الدولة النوميديّة واستقلالها على قرطاجة وروما. كما تظهر مدى تطوّر العلاقات التجارية للنوميد مع شعوب البحر الأبيض المتوسط.

يعتبر سيفاكس الملك الماسيسييلي (213ق.م-202ق.م)، أول من بادر بسك عملة نقدية من البرونز، على جبهة صورة الملك وعلى ظهرها فارس يمتطي حصانا يعدو، مع كتابة بونية SPQ. HMMLKRT (الأغليد، الملك) (Jacques Alexandropoulos, 2012: 119) (صورة رقم 3). وتظهر صور الملوك على العملات النقدية لماسينيسا وخلفائه، تارة متوجة بتاج وتارة أخرى يعلوها إكليل. ويتخذ الحصان على ظهر العملات وضعيات مختلفة: تارة يعدو وتارة أخرى يهرول وأحيانا يقف بثبات. ودخل الفيل في الإيكونوغرافية النقدية النوميديّة في ظل حكم ماسينيسا لذكرى انتصاره في معركة زاما ضد القرطاجيين. وتحمل تلك العملة النقدية البرونزية كتابة بونية تدلّ على ماسينيسا الملك: MSNSN (Jacques Alexandropoulos, 2000: 395, n°10) HMMLKT

صورة رقم 3: عملة نقدية للملك سيفاكس



المصدر: Jacques Alexandropoulos, 2012: 119

أغلب العملات التي ضربت كانت من البرونز والرصاص للاستخدام اليومي، الفضة أقل شيوعا وغالبا ما ربطت بالتبادل التجاري أو المناسبات الخاصة.

2.4- الأسلحة النوميديّة:

اشتهر الجيش النوميدي بقوته ومهارته في القتال إلى جانب مكره في الحروب، وساهمت الأسلحة الهجومية في الفتك بالأعداء تكون حادة ومعدنية قادرة على اختراق الجسم، والأسلحة الدفاعية هي تلك التي تستعمل لغرض اتقاء ضربات وهجمات العدو وحماية أجزاء جسم.

أولى النوميدي اهتماما كبيرا للأسلحة الهجومية مقارنة مع الأسلحة الدفاعية، ويعدّ الدرع بنوعيه الدائري والبيضوي السلاح الدفاعي بامتياز، صنع من جلود الفيلة نظرا لمثاقته وقابليته للتمدد، وهو السلاح الأكثر حضورا في الشواهد الأثرية مقارنة بالخوذة سواء المخروطية، أو ذات الريش، أو الخوذة القبة والصدرة أو السترة الواقية للصدر المصنوعة من مادتي الحديد والجلد.

خاض ماسينيسا حروبا ضروس ضد الأفارقة وضد القرطاجيين ، كان له جيشا نظاميا مخلصا لملكهم مستعدا لفرض سلطته داخل الحدود وإظهار قوته في الخارج ، وتظهر لنا الأسلحة الدفاعية الخاصة بجنود النوميدي على أنصاب الحفرة بقسنطينة والمكتشفة عامي 1875 و1950 وضمن الأثاث الجنائزي لضريح لخروب (Aibèche Youcef, 2003: 97-98) . يحتوي ضريح لخروب على أسلحة دفاعية كاملة من بينها خوذة (صورة رقم4)، ترس ودرع الرّزد محفوظة بمتحف سيرتا وتشبه إلى حدّ ما تلك التي وجدت على أنصاب الحفرة.

صورة رقم 4: خوذة مخروطية



المصدر: عن الباحثة ، متحف سيرتا

ويرى الباحثون ، أنّ الأسلحة الموجودة على الأنصاب أو تلك التي وضعت في القبور إلى جانب الموتى تدلّ على خصوصية إفريقية أكثر منها قرطاجية، هذه الطقوس أقل شيوعا عند القرطاجيين ، عهد النوميدي الذين كانوا غالبيتهم محاربون إلى تقديس أسلحتهم (Ben Younes-Alia Krandel, 2002: 2)، حاولوا من وراء هذه الرمزية، إظهار احترافهم وشجاعتهم الحربية ونجاحهم في مسيرتهم العسكرية، كلّ هذه المعطيات تدلّ على قوة الدولة النوميديّة وهيكلتها الجيدة.

الخاتمة:

إنّ هذا العمل ، قد بيّن أنّ الفترة النوميديّة من أبرز فترات تاريخ الجزائر القديم ، وأنّ أسلافنا النوميدي هم عنصر هام في تكوين شخصيتنا الوطنية، كما ساهموا أيضا في حضارة البحر الأبيض المتوسط في الفترة القديمة وبالتالي في الحضارة الإنسانية عموما وإفريقية خصوصا. الشيء الأكيد أنّ هذه الأرض ساهمت في ديمومة الحضارة العالمية وأنّها أنجبت عدّة عظماء، من بينهم الأغليد ماسينيسا، مؤسس الدولة النوميديّة، الذي أجمع المؤرخون القدامى والمحدثون على جمال خصاله وشجاعته وحنكته ممّا يجعله في

مضاف باقي ملوك وأسياد العالم. ولكن تبقى وإلى يومنا هذا العديد من نقاط الغموض تستوجب الاستجلاء خاصة ما يخص مكان وفاته وضريحه، مما يستوجب القيام بحفريات جديدة، كما بات العثور على أرشيف المملكة النوميديّة أمرا ملحا لاستنطاق ما تكتنزه الوثائق الإدارية من معلومات ومعطيات ستساهم لا محالة في إبراز تاريخنا المجيد وتبيان مقام اللغة الليبية خاصة بعدما أضحي يقينا أنّ اللغة الليبية هي لغة الإدارة في المملكة النوميديّة جنبا إلى جنب مع اللغة البونية.

لو جئنا إلى مسألة ربط نشأة الممالك النوميديّة بالقرن الثالث قبل الميلاد عند المؤرخين القدماء، لوجدنا أنّ لا سبيل لإنكار تشكل سياسي متقدم لسلالة الماسيل بمنطقة الأوراس له صفات الدولة حتى وإن كان قبلها قبل هذا التاريخ، والدليل على ذلك الضريح الملكي المدغاسن، ضريح لملك ماسيلي أو لملوك الماسيل المنحدرين من الأوراس للقرنين 4 و3 ق.م. بناء من الطراز الأهلي ذات تأثيرات بونية إغريقية، يدلّ على التفتح النوميدي لتأثيرات أجنبية، وكانت حينئذ سلالة الماسيل مازالت قريبة من أصولها القبلية اتخذت من المناطق القريبة من الأوراس منبع قوتها وإشراقها.

هناك من المؤرخين القدماء من طرح بعض المغالطات فيما يخص ابتكار الزراعة عند النوميدي، وعلى رأي بوليبيوس، ماسينسا من أدرج وطوّر الزراعة بنوميديا، وعلى ضوء سترابون " جعل ماسينيسا النوميدي اجتماعيين وجلب عناصر الحضارة وجعل منهم مزارعين". بينما أكدت الدراسات الأثرية أنّ الليبيين كانوا قد حذقوا الزراعة ومارسوها منذ عصر المعادن في الأطلس الأعلى من خلال الرسوم الصخرية التي تصوّر لنا المحراث الدوار، وهذا ما يبرز مظاهر الحضارة للسكان الأصليين.

من الجانب الإداري، عرفت سيرتنا نظام الأشفاط (الهيئة الثنائية) مثلها مثل قرطاجة، نظام معترف به عند السلطة الرومانية، ولا يهم إذا كان الأشفاط درجات، شفاط رئيسي (sufes Maior) كما هو الحال في مدينة توكا أو رئيس الأشفاط (Rab shofetim) شأن مدينة مكثار. ما يهم أنّ هذه المدن أرست على مصطلح مشترك للتواصل فيما بينها ومع القوة الرومانية المسيطرة آنذاك.

حينما تكون المصلحة مشتركة والعدو نفسه، لم يكن في وسع مدن المغرب القديم إلا الاتحاد للخروج من الأزمة، إنّ الأزمة تلدّ الهمة.

قائمة المراجع:

- قوعيش، شريف، (2016). «التأثيرات الفينيقية في غربي البحر الأبيض المتوسط (الاقتصاد والمجتمع نموذجا)». *المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية*، مخبر الجزائر والحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، المجلد: 2 العدد: 4، 53-83.
- قيطوني دحو، كلثوم، (2015). *كرتا النوميديّة في المصادر الإغريقية-اللاتينية*. (قيطوني دحو كلثوم وبلحيمر وهيبة)، *قرطن-سيرتا والممالك النوميديّة من القرن 1-5 ق.م*، الجزائر: وزارة الثقافة. 28.12
- مجاهد، وسيلة، مهنّتل، جهيدة، (2012). «النوميديون ضحية المصادر القديمة». *مجلة الدراسات الأثرية*، معهد الآثار جامعة الجزائر 2، المجلد: 10 العدد: 1، 14.6.
- Alia Krandel Ben younes-. (2002). *La présence punique en pays numide*, Tunis : INP
- André Berthier. (1980). «Un habitat punique à Constantine». *Antiquités Africaines*. N°16.13.26.
- Cécile Colonna. (2003). « Deux mausolée royaux de Numidie ». *L'Algérie au temps des royaumes numides, Vème siècles avant J.-C. – 1^{er} siècle après J.-C.* Sennequier Geneviève, Colonna Cécile. France : Editions d'Art.
- Charles-Gilbert Picard. (1974). « Une survivance du droit publique punique en Afrique romaine : les cités sufétales ». *Atti del convegno internazionale sul tema I diritti locali nelle province romane con particolare riguardo alle condizioni giuridiche del suolo.*, Quaderno 194. Ottobre 1971. Roma : Accademia nazionale dei Lincei. 125.133.
- Charles-Gilbert Picard. (1982). «Le palais de Sittius à Cirta (Constantine)». *Bulletin du Comité des Travaux Historiques*, N°18.191.192.
- Christian Courtois. (1950). «Saint Augustin et la survivance de la langue punique» *Comptes Rendu de l'Académie des Inscriptions et des Belles lettres*, 94^e année. N°3.305.307.
- Collectivité auteur. (1979). *Die Numider*, Reiter und Konige nordlich der Sahara. Bonn : Koln Bonn Rheinland Verlag Hablet in Komm
- Djahida Mehentel, Hakima Touahri. (2021). « l'Habitat numide en Algérie ; l'exemple de Cirta et Tiddis ». *Actes du colloque international, l'exposition « Die Numider » 40ans après, Bilan et perspectives de recherches sur les numides*. Novembre 2019. Tunis : INP
- Edward Lipinski. (1992). *Dictionnaire de la civilisation phénicienne et punique* : Turnhout, Brepols.
- François Bertrandy. (1994). « Cirta ». *Encyclopédie berbère*. Vol.13. 1964.1977.
- Jacques Alexandropoulos. (2000). *Les monnaies de l'Afrique antique, 400 av. J.-C- 40 ap. J.-C.* Toulouse : Presses universitaire du Mirail.
- Jacques Alexandropoulos. (2012). « Aspects militaires de l'iconographie militaire Numide ». *Cahiers des études anciennes*. N°XLIX. 211.234.
- Jean Mazard. (1955). *Corpus Numorum Numidiae Mauretaniae*. Paris : Arts et Métiers Graphiques.

- .Jean-Pierre Laporte. (2003). « Généalogie et histoire ». **L'Algérie au temps des royaumes numides, Vème siècles avant J.-C. – 1^{er} siècle après J.-C.** Sennequier Geneviève, Colonna Cécile. France : Editions d'Art.
- .Mohamed Alouad Tahar. (2004). L'hellénisme dans le royaume numide au II^{ème} siècle av. j.-c ». **Antiquités africaines**. 40-41.29.41
- .Nessighaoui Oufia. (2017). « Monnaies des villes autonomes dans l'Algérie antique ». **Revue sciences humaines**. N°47. Vol B. 163.173.
- .René Charlier. (1950). «La Numidie vue par Salluste, Cirta Regia : Constantine ou le Kef». **L'Antiquité classique**. T. 19. Fasc. 2. 1950.
- .Robert Martin Kerr. (2010). «Some thoughts on the origins of Libyco-Berber Alphabet». **Etudes berbères V. Actes du 5 Bayreuth- Frankfurt-Leidener Kolloquium sur Berberologie**, Leiden, Vol. 28. octobre 2008. 41.68.
- .Said Dahmani. (2003). « Le royaume de Massinissa un projet contrarié ». **L'Algérie au temps des royaumes numides, Vème siècles avant J.-C. – 1^{er} siècle après J.-C.** Sennequier Geneviève, Colonna Cécile. France : Editions d'Art.
- .Salluste. (1974). **La Guerre de Jugurtha**. Texte établi et traduit par A. Ernout, Paris : Les Belles Lettres,
- .Strabon. (2014). **Géographie**. Tome XV. Livre XVII. Texte établi et traduit par Benoit Laudenbach. Paris: les Belles Lettre.
- .Theodor Mommsen. (1886), **the provinces of the Roman Empire, from Caesar to Diocletian**. London: R. Bentley.
- .Tite-Live. (1993). **Histoire romaine**, XXVI-XXX, Trad. A. Flobert. Paris: Garnier-Flammarion
- .Tite-Live. (1977). **Histoire romaine**, XXXI, Trad. Alain Hus. Paris : Les Belles Lettres.
- .Youcef Aibèche. (2003). « Le mausolée royal de la soumaa ». **L'Algérie au temps des royaumes numides, Vème siècles avant J.-C. – 1^{er} siècle après J.-C.** Sennequier Geneviève, Colonna Cécile. France : Editions d'Art.